العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين

تأليف :

الإمام أبي الطيّب التقي الفاسي ، محمد بن أحمد الحسني المكي (١)

(٧٧٥ — ٨٣٢ هـ)

البلد الأمين (مكة المكرمة) هو مهد الإسلام ، ومطاف المسلمين . فما يظهر فيه من ألفة ومحبة يفوح شذا عَرفه في سائر الأقطار الإسلامية ، فيكون له أجمل وقع في نفس كل مسلم غيور على دينه وأمته وعروبته .

ولئن تناءت بلاد المسلمين وتعددت أجناسهم ، فقد جمعتهم راية القرآن ، ووحدتهم كلمة الإسلام : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وفي طليعة هذا التاريخ أنه يُعَدّ المرجع الراقي لتراجم أعيان أهل مكة ، ومَن سكنها أو مات بها من الرواة والعلماء والفقهاء والولاة والأعيان وغيرهم (أي كفضليات النساء ، وتراجمهنّ في الجزء الثامن وهو الأخير ـ في أكثر من مائتي صفحة) ـ في مدى ثمانية قرون ، قال في المقدمة : وللمؤلف عناية خاصة بالتاريخ لمكة المكرمة ، وترجمة أعلامها ، ومن حَلّ فيها من أهل العلم مستكملاً ما بدأه ـ عمدة مؤرخي البلد الحرام أبو الوليد الأزرقي (المتوفى نحو سنة ٢٥٠ هـ) وهو صاحب كتاب « أخبار مكة » وأبو عبد الله الفاكهي (المتوفّى نحو سنة ٢٨٠) صاحب كتاب « تاريخ مكة » ومن تبعهما من المؤرخين في هذا الموضوع حتى عصر المؤلف . وقد ذكر له في المقدمة أربعة مؤلفات في تاريخ البلد الحرام ، وخامسها هو هذا « العقد

---

(١) تفضل بإهداء هذا الكتاب بأجزائه الثمانية إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نصيف ، أدام المولى فضله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثمين في تاريخ البلد الأمين » . وقد جعله المؤلف أساس كتبه التي قبله ، وهي منه بمثابة المختصرات أو المستخرجات ، وقد رتّب الأسماء على ترتيب حروف الهجاء ، ثم ذيّل ذلك بأبواب في الكنى والألقاب والأنساب وتراجم النساء . ولا شك أن هذا الكتاب في أجزائه الثمانية موسوعة كبرى في هذا الباب . وترجمة المؤلف في باب المحمدين من الجزء الأول من كتابه هذا ، وله في الضوء اللامع للسخاوي في (٧ : ١٨) ترجمة مستفيضة .

ومن هذا الكتاب نسخ متعددة ذكرها بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٧٢ والملحق ٢٢١) قال في المقدمة ما موجزه :

وقد اعتمدنا في نشر هذا الجزء الأول على مخطوطتين :

الأولى : في ملك العالم السلفي الجليل الشيخ محمد أفندي نصيف بجدة ،

والثانية : نسخة أخرى جيدة محفوظة بمكتبة قوله بدار الكتب المصرية ، وتقع في أربعة مجلدات مكتوبة بخط جيّد .

أمّا مقدمة الجزء الأول فهي بقلم الأستاذ محمد الطيّب نجل صديقنا العلاّمة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى ، وقد اقتبسنا منها جملاً في هذه الكلمة ، وقال في ختامها : وأخيراً فإنّ نشر هذا الكتاب النفيس على هذه الصورة الأنيقة ليجعلنا نتقدم بالشكر الوافر والثناء الجزيل لمعالي رجل العلم والأدب والفضل الشيخ محمد سرور الصبان ، وأقول : إنه هو الذي تفضل بإهدائه إليّ بأجزائه الثمانية ، فدعوت الله تعالى أن يحفظه لتاريخ البلد الأمين ركناً ركينا ، ولمعاهد الدين والعلم والأدب حصناً حصينا . وقد تقدّم الأستاذ الطيّب في خاتمة مقدمته بوافر التقدير لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد نصيف لما يبذله من جهد ومال في خدمة تراث السلف الصالح ، والعمل على إحيائه ونشره ونفع الناس به ، كما شكر الفاضل الأستاذ فؤاد سيّد ، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية لما يقوم به من عون ومساعدة لجميع المشتغلين بالعلم والأدب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(مَن أرّخ لهم المؤلف في هذا التاريخ)

قال أبو الطيّب التقي المؤرخ رحمه الله : لمّا وفقني الله تعالى للاشتغال بالعلم ، تشوقت نفسي كثيراً إلى معرفة تراجم الأعيان من أهل مكة وغيرهم ممن سكنها مدة سنين ، أو مات بها . وتراجم ولاة مكة ، وقضاتها وخطبائها ، وأئمتها ومؤذنيها ، من أهلها وغيرهم . وتراجم مَن وسّع المسجد الحرام أو عمّره ، أو عمّر شيئاً منه ، أو من الأماكن الشريفة التي ينبغي زيارتها بمكة وحرمها ، أو عمل المآثر الحسنة الكائنة بمكة وحرمها ، ـ كالمدارس ، والربط ، والسقايات ، والبرك ، والآبار ، والعيون ، والمطاهر ، وغير ذلك منَ المآثر ـ لما في معرفة ذلك من النفع التام ، عند ذوي الأفهام (قال) وفتشت عن تأليف في ذلك ، فلم أرَ له أثراً ، ولا سمعت عنه خبرا .

ثم إنّ ما ظفر به المؤلّف من التراجم رتبه على ترتيب حروف المعجم ـ خلا المحمدين والأحمدين ـ فإنهم مقدّمون على غيرهم ، لشرف هذين الاسمين على غيرهما من الأسماء . وقد أشار إلى الكتب التي نظرها لأجل تأليف هذا الكتاب فبلغت خمسة وستين كتاباً (من ص ١٨ — ص ٢٦) .

أمّا الجزء الأول منه ففيه ذكر الإنشاء والبناء لمكة المكرّمة ، والكعبة المشرّفة ، وما في تلك المباني من المآثر والمفاخر . وقد اشتمل الجزء الأول من هذا التاريخ على أربعين باباً ، في وصف مكة وجبالها المحدقة بها ، وأسمائها وما ورد في حُرْمتها وحَرَمها ، وعمارتها وصفتها ، وصفة الكعبة المعظمة ومَن كساها من الملوك وغيرهم ، وسائر ما يتعلّق بها ، وكونها قبلة المسلمين ومطافهم وآداب دخولها ، وثواب الحج والعمرة ، ومقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومصلّى الرسول ﷺ ، ووصف المسجد الحرام بما اشتمل عليه ، وذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها ، وما يتعلق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالمناسك مرتبةً على حروف المعجم ، وذكر ملوك مكة ونسبهم وما يتعلّق بهم ، وذكر إبراهيم وابنه إسماعيل الذّبيح عليهما السلام ، وأنّه هاجر وبني إسماعيل وفوائد تتعلق بهم ، وذكر مَن ولي الكعبة من الأفراد والعشائر ومدة ولايتهم لمكة وشيء من أخبارهم ، وتفسير الحجابة والسقاية والرفاده ، والندوة والقيادة ، وذكر شيء من الفجار والأحابيش ، وحلف الفضول . ثم ذكر ولاة مكة المشرّفة في الإسلام ، وذكر شيء من الحوادث المتعلّقة بمكة في الإسلام .

والباب الأربعون وهو الختام ، في إزالة الأصنام التي كانت بمكة وحولها قبل الإسلام . وإيراد شيء من الشعر في الشوق إلى مكة الشريفة ، ومعالمها المنيفة ، ثم قال المؤلف (ص ٢١٧) : وقد انتهى العرْض الذي أردنا جمعه في هذا الكتاب .. ولنذكر فيه ما أشرنا إليه من السيرة النبوية ... قال : وسميت تأليفي هذا (الجواهر السنية ، في السيرة النبـــوية) . وفي (ص ٢١٨ ما نصّه « ذِكرُ أسمائه (صلى الله وسلّم عليه) ونسبه وشيء من حال عمله » .

وبعد أن ذكر شذرات من سيرته الشريفة ، أورد تلك الغزوات والسرايا التي كان صلوات الله عليه يحضرها أو يرسلها ، وكتبَه إلى الملوك في دعوتهم إلى الإسلام ، وفصلاً في أولاده ، وفصولاً في أعمامه وعمّاته ، وزوجاته ، وخدّامه ومواليه وإمائه وسائر ما يتعلّق به ... وأخلاقه وفضائله ومعجزاته ، ثم بدأ التاريخ بالمحمدين مرتبين في أسماء الآباء على حروف الهجاء ، فذكر في الجزء الأول مائة وتسعة وأربعين رجلاً (آخرها ص ٤٧٤ : محمد بن الحسن الناصح الحنفي الطبري . وآخر فهرسه ص ٤٨٨) .

(الجزء الثاني وما بعده)

رأى الأستاذ الطيب أن كثرة أعماله لن تساعده على الاستمرار في إخراج بقية أجزاء الكتاب ، لا سيما وقد مسّت الحاجة إلى استقصاء بقية مخطوطاته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بقدر المستطاع ، حتى يتم تحقيقه على الصورة التي هو جدير بها . فبالاتفاق عُهِد بتحقيق هذا الجزء الثاني وما بعده من الأجزاء إلى الأستاذ فؤاد سيّد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية . قال الأستاذ سيّد في مقدمته لهذا الجزء : وكانت القواعد التي التزمتها في التحقيق هي : ضبط الأعلام والأماكن والأسباب بالشكل ـ أو العبارة إذا دعت الضرورة ـ حتى تستقيم العبارة .

ـ التعليق بقدر الإمكان على النصّ دون توسّع .

ـ الاستفادة من حواشي ابن فهد[1] على نسخة (ف) إذا كانت واضحة الخط ولا لَبس فيها .

ـ مراجعة النصوص التي يوردها المؤلف نقلاً عن كتب أخرى ، على أصولها المطبوعة أو المخطوطة ، وتصويب ما وقع فيها من أخطاء ، أو تحريف في النقل أو الاقتباس .

ـ معارضة نصوص المؤلف التي نقلها عنه المتأخرون بعده ، والإشارة إلى مواطن الخلاف بين النص والنقل عنه ، ثم قال الأستاذ فؤاد سيّد وسيقتضي الأمر عند الشروع في تحقيق كل جزء : الحصول على صور ما يمكن تحصيله من مخطوطاته الوثيقه الموجودة في مكتبات العالم ، وسأصف هذه المخطوطات واعرّف بها في بداية كل جزء .

قلت : وهذا التحقيق لكل جزء ، والتدقيق في المخطوطات والمطبوعات التي هي مظنة الاستفادة منها في التصحيح ، ليكون الكتاب خالياً من كل الشوائب ، يقدّر كل التقدير للمحقق المدقق ولسائر الفضلاء الأجلاّء الذين تعاونوا على إخراج هذا المؤلّف إلى عالم الطباعة والنشر ، فللجميع أعطر الشكر ، وأجزل الثواب ممن لا يضيع عمل عامل ، ولا أجر محسن ، وهو سبحانه القائل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تُظلم نفس شيئاً » .

---

(١) هو تلميذ المؤلف وقد نقل نسخته عن نسخته ، وروى الكتاب عن مؤلفه ، وأجاز له روايته عنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في هذا الجزء الثاني أكثر من ثلاثمائة وخمسين ترجمة ، وعددها من (١٥٠ – ٥٠٨) منها ما كتب في أسطر ، وبعضها استوعب صفحات ، وغالبها رسم في صفحة أو أكثر أو أقل لكل ترجمة ، فأمّا مَن تُرجم في صفحات فتذكر له فيها غالباً سماعاته وإجازاته ، وتحصيله ، ومشايخه ، والبلاد التي تَنقّل فيها ودرّس ، أو وَلِيَ فيها الإفتاء أو القضاء ، وبعض الكتب التي درَسها أو درّسها في العلوم والفنون العربيه أو الشرعية أو العقلية . وإنّ في بعض التراجم أسماء فضليات من النساء كما في الترجمة (٢٦١) ص ١٠٥) لمحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ، فقد ذكرت بين العلماء زينب بنت عبد الرحمن الشّعري ، وزينب ابنة كمال أحمد ، وفاطمة بنت محمد البغدادية . ومما يستغرق عدة صفحات في هذا الجزء وفي غيره أيضاً ذكرُ الأمور السياسية والحرب ، والطعن والضرب في البلدان ، وما أصاب البلاد وأصاب آثارها من تخريب العمران ، وتقتيل السكان .

وإنّ أوسع ترجمة على الإطلاق في هذا الجزء الثاني هي لمحمد بن علي الطائي الحاتمي المُرسي الملقب : محي الدين المعروف بابن عربي الصوفي ، فقد بلغت نحو أربعين صفحة (ص ١٦٠ — ١٩٩) ذكر فيها مجاورته بمكة مدة سنين ، وألّف فيها كتابه الذي سمّاه : (الفتوحات المكية) قال : وله تآليف أخر ، منها (كتاب فصوص الحكم) وشعر كثير جيد من حيث الفصاحة ، إلاّ أنه شابَهُ بتصريحه فيه بوحدة (الوجود) المطلقة ، وصرّح قال الشيخ تقي الدين المؤلّف : وقد بيّن الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي شيئاً من حال الطائفة القائلين بالوحدة ، وحال ابن عربي منهم بالخصوص ، وبيّن بعض ما في كلامه من الكفر ، ووافق على تكفيره بذلك جماعة من أعيان علماء عصره ، من الشافعية والمالكية والحنابلة لمّا سُئلوا عن ذلك . ولهذا التقي الفاسي رسالة خاصه في ابن عربي وحاله وعقيدته وآرائه ، وما افتى العلماء به في عقيدته ومؤلفاته ، وقد أشار إلى ذلك الفاسي في آخر ترجمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عربي المذكورة ، وإن لم يذكر اسم هـذه الرسالة ، ولشمس الدين السخاوي (م سنة ٩٠٢) في كتابه : القول المنبي عن ترجمة ابن عربي ، ومنه نسخة بمكتبة برلين رقم ٢٨٤٩ .

وقد أورد المقبلي اليماني في آخر كتابه « العَلَم الشامخ » المطبوع ، جميع هذه الفتاوى التي أوردها التقي الفاسي في ابن عربي نقلاً عن « العقد الثمين » نصّا ، وصرّح بذلك ، كما ألّف في الدفاع عن ابن عربي والذود عن عقيدته وآرائه بعض العلماء .

قلت : مَن أراد أن ينظر بعض أقواله المكفرة ، والرسائل التي ألفت في تبيانها والردّ عليها ، والرسائل التي سطرت في الانتصار له والدفاع عنه ، يجدها في الجزء الثاني (ص ١٦٢ — ١٧١) وأكثر الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ثم ذكر جواب الموافقين في إنكار المقالات المذكورة وتكفير قائلها :

فأورد أجوبة عشرة من أجلاء العلماء ، مؤيدين إنكارهم لتلك الأقوال الزائفة ، بأدلة صريحة واضحة من الكتاب والسنة ، داعين كل مطلع عليها إلى ردّها وإبطالها .

وكان الجواب العاشر لعبد الرحمن ابن خلدون الشهير ، فقد بين أن طريق المتصوفة منحصرة في طريقين : الأولى طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة ، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين ، والثانية — وهي مشوبة بالبدع ، — طريقة قومٍ من المتأخرين ، ثم قال : ومن هـؤلاء المتصوفة : ابن عربي ، وابن سبعين ، وابن بَرَّجان (م سنة ٦٥٣) بمراكش ، ومن مؤلفاته في موضوع الصوفية كتاب (عين اليقين) . قال المؤلف التقي الفاسي ص ١٧٩ : ولهم تآليف كثيرة يتداولونها ، مشحونة من صريح الكفر ، ومستهجن البدع ، وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها ، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملّة ، أو عدّها في الشريعة . لخصنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الصفحة من كلام التقيَّين المؤلف الفاسي وابن تيمية وغيرهما لبيان كثرة الردّ وشدّة الإنكار على من خالف كلام الواحد القهار ، وسنة النبي المختار . وليس الثناء أو الإطراء لكلام هؤلاء في مثل هذه المواقف الحرجة بمجد شيئا ، والله تعالى يقول : « وإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء / ٥٨) .

ثم أضاف ذكر شيء مما رآه الناس في أمر ابن عربي ، غير ما سبق ، وروى المؤلف بالسند المتصل بالإمام أبي محمد بن عبد السلام ـ وقد جرى ذكر أبي عبد الله محمد بن عربي فقال : شيخ سَوء ... وما ذكره الإمام ابن عبد السلام من أوصاف ابن عربي المذمومة ، لا تلائم صفات أولياء الله تعالى ، وردّ المؤلف دعوى ثنائه عليه بما لا يحتمل الجدل . والإمام التقي السبكي وصفه وأتباعه بالضلال ، والحافظ الذهبي بأنه صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة ، وقال أشياء منكرة عدّها طائفة من العلماء مروقاً وزندقة (ص ١٨٨) .

وذكر الحافظ جمال الدين المزي أنه نقل من خط ابن عربي في تفسير قوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم : أأنذرتهم أم لم تنذرهم » كلاماً ينبو عنه السمع ، ويقتضي الكفر ، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها » ص ١٩٠) وهذا من تفسيرها عنده كما في ص ١٩٢ : « إن الذين كفروا » ستروا محبتهم « سواء عليهم : أأنذرتهم أم لم تنذرهم » استوى عندهم إنذارك وعدم إنذارك لما جعلنا عندهم « لا يؤمنون بك ! ولا يأخذون عنك !! إنما يأخذون عنا « ختم الله على قلوبهم » فلا يعقلون إلا عنه ، « وعلى سمعهم » فلا يسمعون إلا منه ، « وعلى أبصارهم غشاوة » فلا يبصرون إلا منه ، ولا يلتفتون إليك ولا إلى ما عندك بما جعلناه عندهم ، وألقيناه إليهم ، « ولهم عذاب » من العذوبة « عظيم » انتهى . ثم أورد المؤلف في هذا (العقد الثمين)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قصيدة لشيخه ابن المقري بلغت ما يقرب من ثمانين بيتاً في حال ابن عربي وشيء من رجال الصوفية المشار إليهم ، وهذا أولها :

ألا يا رسول الله غارة ثائر غيور على حرماته والشعائر
يحاط بها الإسلام ممن يكيده ويرميه من تلبيسه بالنوافر

ومنها :

وأنكر تكليفاً إذ العبد عنده إلـه وعبد فهو إنكار فاجر

ومنها :

فسبحان رب العرش عما يقوله أعاديه من أمثال هذي الكبائر

ومنها :

فقال بأن الله لم يُعصَ في الورى فما ثَم محتاج لعافٍ وغافر ؟!

ومنها الردّ على هذه الأقوال الملأى بها هذه القصيدة والتحذير من كل من يقول بها :

فكذّبه يا هذا تكن خير مؤمن وإلاّ فصدّقه تكن شرّ كافر !

وفي أواخر هذا التحذير نصح وتذكير ، ومنه قوله :

دعوا كلّ ذي قول لقول محمد فما آمنٌ في دينه كمخاطر !

ثم وجه الناظم الأنظار إلى كبار الصوفية البعيدين عن تلك الأفكار ، فقال :

وخذ نهج سهل والجُنيد وصالح وقوم مضَوا مثل النجوم الزواهر
على الشرع كانوا ليس فيهم لوَحدةٍ ولا لحلول الحق ذكرٌ لذاكر

وختامها :

أولئك أهل الله فالزم طريقهم وعُدْ عن دواعي الابتداع الكوافر

وبعد هذا البيت الأخير كتب : انتهى باختصار .

وقال المؤرخ الفاسي في أواخر هذه الترجمة لابن عربي : ولأجل كلامه المنكر ، ذمّه جماعة من أعيان العلماء وقتاً بعد وقت (قال) : وأما من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أثنى عليه ، فلفضله وزهده وإيثاره واجتهاده في العبادة ، واشتهر ذلك عنه حتى عرفه بذلك جماعة من الصالحين عصراً بعد عصر ، فأثنوا عليه بهذا الاعتبار ، ولم يعرفوا ما في كلامه من المنكرات اهـ .

أقول : إن الشيخ ابن عربي المترجَم ، نهى غير الواقفين على مصطلحاتهم ومرادهم منها ، وحذَّرهم من قراءة كتبهم ، لكيلا يَضلوا ويُضلوا ، فمن البرّ بهم تركها لهم ؟!

وفي كتاب « ولاية الله والطريق إليها » للإمام الشوكاني الذي طبع بدراسة الأستاذ ابراهيم ابراهيم هلال وتحقيقه ، ـ ذكر الشوكاني (ص ٢٨٥) أصل الباطنية وفصلها ومآخذها عن الفِرَق والأديان المنحرفة قبلها ، ودعا الشوكاني دعوة صادقة إلى عهد الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان ، ولم يكد يطلع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام حتى تألق نوره وامتدت أشعته ، فبلغت حدود الصين شرقاً ، وأقاصيَ بلاد الأندلس ومراكش غرباً ، ونهر اللوار شمالاً ، وسواحل المحيط الهندي جنوباً ، وليس من غرضنا ذكر مدنيات العرب والمسلمين ، ولا أن نحصي ما شيدوا في حواضر ملكهم من جوامع وميامم ومستشفيات ومدارس ، وإنما القصد المحافظة على الموجود ، واسترداد ما يمكن من المفقود ، بعون الله تعالى وتوفيقه .

(التصوف)

سبق أن بينتُ أنَّ التصوّف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا وعَرَضها الأدنى ، وإيثاراً للآخرة عليها ، وجهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس ، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومَن تبعهم بإحسان ، ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم ، ثم أحدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسمّاه نسكاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزهداً وبُعداً عن مظاهر الترف والنعيم ، صار آراءً فلسفية تنقّل فيها أهلها إلى القول بالحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود والشهود ، وما علينا إلاّ أن نعود إلى العهد الأول الأغرّ المحجّل ، فنعود كما كنّا خير أمة أخرجت للناس .

٣٣٠ — الوزير جمال الدين أبو جعفر المعروف بالجواد لجوده)

(ج ٢ / ٢١٢ — ٢١٧) من قرأ ترجمته يعلم أنه جدير بكل تقدير ، بإصلاحاته العمرانية ، في مكة والمدينة وكثير من البلدان الإسلامية ، وبصلاته ومبرّاته التي عُدّ بها الوحيد في جوده ، ولمّا اعتقل حسداً في قلعة الموصل ، قال ابن المعلّم الشاعر :

إن يعزلوك لمعروف سمحتَ به ... على ذوي الأرض ذات العرض والطول

فأنت يا واحد الدنيا وسيّدها ... بذلك الجود فيها غيرُ معزولِ

قال الذهبي : ولقد حكى ابن الأثير في ترجمة الجواد : مآثر ومحاسن لم يسمع بمثلها في الأعمار .

(الجزء الثالث)

ذكرنا في هذه الكلمة خلاصة ما اشتمل عليه الجزء الأول ، فالقواعد التي التزمها الأستاذ فؤاد سيّد ، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ـ لمّا عُهِد إليه بتحقيق الجزء الثاني وما بعده من الأجزاء . وأسماء المترجَمين في الكتاب كلّه مرتبة على حروف الهجاء ؛ وهذا الجزء الثالث من التراجم مبدوء بمن اسمه « أحمد » وينتهي بنهاية حرف الجيم ، بمن اسمه « جوهر » ومجموع هذه التراجم ٤١٤ ترجمة ، وقد اعتمد المحقق فيه على نسخ ثلاث ، الأولى بدار الكتب المصرية ، والثانية في مكتبة الأزهر ، والثالثة في مكتبة « كمبردج » بإنكلترا ، وقد حصل على صورة فوتوغرافية منها ، وهي من حرف الألف إلى حرف الظاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثبت مراجع التحقيق في آخر الجزء، وهي كثيرة واسعة، منها المطبوع ومنها المخطوط، وما طبع منها مشار إلى أماكن طبعه، وإلى محالّ وجود المخطوطات التي لم تطبع، وأخيراً فهرس الجزء الثالث من (العقد الثمين).

وتراجم هذا الجزء كسابقه، أقلّها ما رسم في صفحات، وأكثرها ما زاد على صفحة أو قلّ عنها، وبعضها لم يزد على أسطر قليلة.

وأحياناً إذا كان المترجم أديباً أو شاعراً، كتبت ترجمته في أسطر، واستغرقت قصائده وشواهده صفحات، كما هي في الشيخ برهان الدين المعروف بالقيراطي المصري: (العدد ٧٠٢ - ص ٢١٧ - ٢٢٩ ج ٣).

وهكذا بقية الأجزاء يشبه بعضها بعضاً في هذا الوصف العام، ولو أخذنا نتتبعها جميعاً لطال بنا الكلام، أما بالإيجاز فالجزء الرابع يحتوي على (٤٤٣ ترجمة) تبدأ بأول حرف الحاء المهملة، بمن اسمه «الحارث» وينتهي بنهاية حرف السين المهملة، بمن اسمه «سيف». وكان الاعتماد في تحقيق هذا الجزء على النسخ الثلاث التي سبق وصفها، والجزء الخامس يحتوي على (٥٦٠ ترجمة) تبدأ بأول حرف الشين المعجمة بمن اسمه «شافع» وتنتهي إلى أثناء حرف «العين المهملة» بترجمة عبيدة بن الحارث المطّلبي، وكان الاعتماد في تحقيق هذا الجزء على النسختين المصرية والأزهرية، ويبتدئ الجزء السادس بمن اسمه «عتاب» وينتهي بنهاية حرف العين بمن اسمه «عيسى»، وتحقيق هذا الجزء بالاعتماد على نسخ ثلاث: نسخة دار الكتب المصرية ونسخة مكتبة جامعة كمبردج (ولم يصحح عليها ج ٥ لتأخر وصولها) ونسخة اليمن ووصفها في مقدمة هذا الجزء بقلم الأستاذ فؤاد سيد. وأما الجزء السابع فيبتدئ ببداية الغين المعجمة، وينتهي بنهاية حرف الياء، وبتمام هذا الجزء تنتهي جميع تراجم الرجال على حروف المعجم، وبقي باب الكنى والألقاب والأنساب، وكتاب النساء كاملاً. وقد اعتمد المحقق في تحقيق هذا الجزء على مخطوطة دار الكتب المصرية ونسخة مكتبة جامعة كمبردج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بانكلترا ، ونسخة « ابن فهد » تلميذ المصنف . وأما الجزء الثامن فهو ختام أجزاء الكتاب الثمانية .

وكان من قضاء الله تعالى وقدره أن توفي الأستاذ فؤاد سيّد قبل أن يتولّى أمر هذا الجزء الثامن بتحقيقه وتدقيقه وتعليقاته المفيدة ، (رحمه الله وأجزل ثوابه) فعهد بتحقيقه إلى الأستاذ محمود محمد الطناحي ، فقام بذلك خير قيام ، لصلته الوثيقة من قبلُ بالكتاب وبالراحل الكريم ، ويرى المطالع تحقيقات الأستاذ الطناحي مبنية على المطالعة والمراجعة للمصادر والإشعار بأرقام الأجزاء والصفحات وكتابة ما يحتاج إليه ، بحيث لا تقل هذه العناية الفائقة عما سبقتها ، أثاب المولى الجميع أفضل الثواب .

(كتاب النساء الكامل)

أمّا كتاب النساء الكامل ففي الجزء الثامن ، وهو الأخير من تاريخ البلد الأمين ، وقد انعقد في مائتين وخمسين ترجمة مرتبة أيضاً على حروف الهجاء (من ص ١٧٧ — ٣٦٣) أوّلها أروى بنت عبد المطلب ـ وآخرها عابدة مكية ، ومنهنّ المهاجرات المكيّات ، والأنصاريات المدنيّات ، ومنهنّ من هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة المنوّرة ، وتراجمهنّ منقولة عن أهمّ المصادر كتراجم الرجال ، منها تاريخ الطبري ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، والجمع بين رجال الصحيحين ، وتهذيب الأسماء واللغات ، والسيرة النبوية رواية ابن هشام ، وغيرها ؛ مع الإشعار بأرقام الأجزاء والصفحات .

يقول الإمام مالك ـ إمام دار الهجرة : لا يُصلح آخرَ هذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها ، وإنما أصلح أولها العلم والعمل ، وتقوى الله عز وجل ، فعلى الأمة أن تستعين بعلماء الأمة الأبرار ، وهم العاملون الأطهار ، على إصلاحها ، وعلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يقوموا بواجب التهذيب والتعليم ، حتى يعود لهذه الأمة رجالاً ونساءً العهد الأول ، الأغر المحجّل ، وبالله التوفيق والمستعان .

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net